بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان البحث علاقة الذات بالصفات

تأليف :

احمد اسماعيل ابراهيم التل

٢٠١٠/٢٠٠٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقدمة:

اتفق أهل الحق على أن الواجب لذاته متصف بجميع صفات الكمال ،التي لو سلب شيء منهـــا ،عمن اتصف بها ،لكان بسلبها ناقصا وعلى أنه يجب على كل مكلف أن يعتقـــد أن الواجـــب لذاته متصف بكل كمال .

لكن من الكمال ما يجب التصديق به إجمالا ومنها ما يجب التصديق به تفصيلا ،فما لـــم يقـــم عليه دليل بخصوصه يجب التصديق به إجمالا ،وما أقيم عليه دليل بخصوصه ،مثل كونه قادر مريدا عالما ،حيا سميعا ،بصيرا متكلما ، يجب التصديق به تفصيلا .

لهذا اتفق علماء الكلام ،من أشاعرة وماتريدية ومعتزلة وحكماء على وجوب التصديق بكـــون الواجب لذاته قادرا مريدا عالما حيا سميعا بصيرا متكلما ،لقيام الأدلة الخاصة بكل صفة مـــن هذه الصفات.ولكنهم اختلفوا بعد ذلك في أن اتصافه بكونه قادرا مريدا الـــخ ،يقتـــضي ثبـــوت صفات أخرى له كقدرة وإرادة أو لا يقتضي ذلك.

فذهب بعض المعتزلة ،وعامة الفلاسفة إلى أن اتصافه بكونه قادرا مريدا لا يقتـــضي ثبـــوت قدرة وإرادة له ،تغاير ذاته

وذهب غيرهم إلى اتصافه تعالى بكونه قادرا مريدا....الخ يقتضي ثبوت وصف زائـــد علـــى ذاته هو القدرة و الإرادة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول: : الذات ومثبوتها من خلال الكتاب والسنة

أولا: الذات في القران الكريم:

أيات كثيرة تتحدث عن الذات أود أن أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

سورة الفاتحة﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ] [1]

يقول الامام ابن القيم رحمه الله عن سورة الفاتحة "أنها اشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العلى إليها ، ومدارها عليها وهي (الله ، والرب ، والرحمن) وبينت السورة على الألوهية والربوبية والرحمه" [2]

سورة الإخلاص: ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾[3]

قال الإمام الأسفرايني :" اعلم أن الله تعالى ذكر في سورة الإخلاص ما يتضمن إثبات جميع صفات المدح والكمال، ونفى جميع النقائص عنه" [4]

وعند الجويني: أن سورة الإخلاص هي تنزيه الله عن النقائص والتقسيم والتبعيض وأنه ليس بمؤلف من جواهر وأعراض."

---

[1] سورة الفاتحة: مكية وأياتها سبعه ، ومن أسمائها الفاتحة ــ فاتحة الكتاب ــ أم الكتاب ــ أم القرآن ــ السبع المثاني

[2] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله، ج١ ص١٣

[3] سورة الإخلاص: عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟ . قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال : (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن) رواه مسلم

[4] التبصير في الدين للإسفرايني ص١٤٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالعقل البشري يستطيع تصور ما هو مخلوق مثله وكل ما يراه فيدركه ، أما الذات الإلهية فهي ذات علمنا وصدقنا بأنها ذات ليس كمثلها شيء ولها كل صفات الكمال وهي منزهة عن كل عيب ونقص.

ثانيا: الذات في السنة النبوية المطهرة:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الأخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء " [٥] وبالطبع نجد هذا الحديث الصحيح يوافق النص القراني: ﴿ هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ [٦]

وعن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال: " أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا إنما تدعون سميعا قريبا ، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته" [٧]

وصح في البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السماوات والأرض" [٨]

وجاء في الصحيحين والرواية لمسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب:" لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم [٩]

وجاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا

---

[5] صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء باب ١٧ حديث رقم ٧٠٦٤
[6] سورة الحديد آية ٣
[7] مسند الإمام أحمد ج٤ حديث ٤٠٢
[8] صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب ١ حديث رقم ٣٠١٩
[9] صحيح مسلم باب دعاء الكرب حديث رقم ٧٠٩٧

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملك، أين الجبارون ، أين المتكبرون ، ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك ، أيــن الجبارون ، أين المتكبرون "[١٠]

المبحث الثاني :أقسام الصفات على أساس علاقتها بالذات

قسم أبو حسن الأشعري الصفات على أساس علاقتها بالذات إلى ثلاثة أقسام:

١ــ صفات يصح أن يقال أنها عين الذات كالوجود ومن الأدلة على ذلك :ــ

** بأنه لو زاد الوجود على الماهية لقام الوجود بها ،وهي قبل قيام الوجــود بهــا معدومــة وغير موجودة ،بهذا يلزم قيام الموجود بالمعدوم أي لامتناع قيام الشئ بنقيضه . أي انه لــو قام الوجود بالماهية وكانت موجودة قبل قيام الوجود بها للزم اجتمــاع وجــودين ،واجتمــاع الوجودين باطل .

٢ــ صفات يصح أن يقال أنها غيرالذات ،وهي كل صفة أمكن مفارقتها للموصوف بجهة مــا .كما في صفات الأفعال ،مثل كونه تعالى خالقا وكونه رازقا ونحوه .

٣ــ صفات لا يقال أنها هي عين الذات ،ولا يقال أنها غير الذات وهي كل صفة امتنع القــول بمفارقتها بوجه ما كالعلم والقدرة وغيرها من الصفات النفسية لذات واجب الوجود .

[10] **صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب ١ حديث رقم ٧٢٢٨**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول الإمام الامدي "الواجب أن كل ذات قامت بها صفات واجبة زائدة عليها فالذات غير الصفات وكذا كل واحد من الصفات غير الاخرى "ان اختلفا بالذوات ،بمعنى أن حقيقة كل واحد والمفهوم منه ،عند انفراده غير مفهوم الآخر لا محالة ،نعم ان لم يصح اطلاق اسم الغيرين ولا القول به صفة عن ذات الله تعالى وصفاته مع الاعتراف بكونها مختلفة الحقائق والذوات ،لهذا ورود السمع به ،فهو واجب ،لكنه مما لا يقدح في المطلوب ([11])

بعض أقوال الأشاعرة في علاقة الصفات بالذات :ـــ

أبو الحسن الأشعري:ـــ

(ولا يجب أن تكون غيره عز وجل لأن غير الشئ هو ما يجوز مفارقة صفاته له من قبل أن مفارقتها له ما يوجب حدثه وخروجه عن الآلهيه،وهذا يستحيل عليه كما لا يجب أن تكون نفس الباري عز وجل جسما أو جوهرا أو محدودا أو في مكان دون مكان أو في غير ذلك مما لا يجوز عليه من صفاتنا لمفارقته لنا ،فلذلك لا يجوز على صفاته ما يجوز على صفاتنا ولا يجب اذ لم تكن هذه الصفات غيره أن تكون نفسه لاستحالة كونه حياة أو علما أو قدرة لأن من كان كذلك لم يتأت منه الفعل ،وذلك أن الفعل يتأتى من الحي القادر العالم دون الحياة والعلم والقدرة)

وذكر الشهرستاني بأن الأشعري قال "لا يقال هي هو ولا هي غيره ولا هو ولا لاغيره" (٢)

الباقلاني ((أنه سبحانه ليس بمغاير لصفات ذاته ،وأنها في أنفسها غير متغيرات،إذ كان حقيقة الغيرين ما يجوز مفارقة أحدهما الآخر بالزمان والمكان والوجود والعدم ،وأنه سبحانه يتعالى عن المفارقة لصفات ذاته وأن توجد الواحدة منهما مع عدم الأخرى . ان صفات ذاته لم تزل ولا يزال موصوفا بها ،وأن صفات أفعاله هي التي سبقها وكان تعالى موجودا في الأزل قبلها))

[11] **غاية المرام ١٣٤ ،أبكار الأفكار ١ /٣٧٦،ابن فورك ٣٨، ومقالات الاسلاميين ٣٩٩/٢**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث:الأدلة على علاقة الصفات بالذات:-

١- : الأدلة السمعية :- (١)

وهي النصوص الدالة على إثبات صفة الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام ،بحيث لا يحتمل التأويل.ومن أمثلة الأدلة السمعية على هذه الصفات عند الأشاعرة :ـــ

(صفة الحياة)

قوله تعالى " ***[اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ]*** {البقرة:٢٥٥} "

[وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا] {الفرقان:٥٨} "

" ***[وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا]*** {طه:١١١} "

سورة طه آية١١١

(صفة القدرة) :ـــ

قال تعالى "والله على كل شئ **[وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]** {البقرة:١٤٨} "

صفة العلم :ـــ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال تعالى

"وما [وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ]

{فاطر:١١}

(صفة الإرادة):ـــ

قال تعالى " [خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ] {هود:١٠٧} "

[فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ] {الشُّورى:١١}

[فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] {البقرة:١٨١}

(صفة الكلام) :-

[وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ] {التوبة:٦}

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ] {الأعراف:١٤٤}

المبحث الرابع: علاقة الذات بالصفات عند المعتزلة:

قبل الخوض في قول المعتزلة وأراؤهم بالصفات أود أن أجمل شيئا عن نشأتها كفرقة، نشأت المعتزلة أول ما نشأت في البصرة في بداية القرن الثاني الهجري، وسبب نشأتهم كانت بالأساس الظروف السياسية والدينية التي كانت تعيشها الدولة الإسلامية أنذاك ، من مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه ، إلى ظهور الخوارج و معركة الجمل وصفين ، وتقاتل المسلمين ونشوب الفتنة بينهم حتى وصلت إلى حد القتال بالسيف.

هنا ظهرت مسائل خلافية بين المسلمين أنفسهم حول حكم من قاتل الصحابة أو قتلهم فعلا أو قتل أحدا من المسلمين ، فهذه كبيرة عظيمة وفيها سفك دم مسلم وفيها خروج على الخليفة وإلى آخره من المسائل، وهنا أورد ما قاله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل:" دخل رجل على الحسن البصري فقال يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، فلا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة ، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا ؟ ففكر الحسن البصري في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن: اعتزلنا واصل فسمي هو وأصحابه المعتزلة" [١٢]

فالعلاف[13] يقول[14] (هو عالم بعلم هو هو وهو قادر بقدرة هي هو وهو حي بحياة هي هو وكذلك قال في سمعه وبصره وقدمه وعزته وعظمته وجلاله وكبريائه وفى سائر صفاته لذاته

---

[12] **الملل والنحل للشهرستاني ج١ / ٥٢**

[13] **قال ابن حجر في لسان الميزان(محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول البصري أبو الهذيل العلاف مولى عبد القيس شيخ المعتزلة ومصنف الكتب الكثيرة في مذاهبهم قال أبو الهذيل أول ما ناظرت ولي**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان يقول إذا قلت أن الله عالم ثبت له علما هو الله ونفيت عن الله جهلا ودللت على معلـــوم كان أو يكون وإذا قلت قادر نفيت عن الله عجزا واثبت له قدرة هي الله سبحانه ودللـــت علـــى مقدور وإذا قلت لله حياة اثبت له حياة وهى الله ونفيت عن الله موتا وكان يقول لله وجه هو هو فوجهه هو هو ونفسه هي هو)

أما أبو علي الجبائي فقوله في الصفات[15] (الباري تعالى عالم لذاته قادر حي لذاتـــه ومعنـــى قوله : لذاته أي لا يقتضي كونه عالما صفة هي علم أو حال توجب كونه عالما) وقال القاضي عبد الجبار (فإن عند أبي علي فأنه يستحقها القديم تعالى لذاته)[16]

أما أبو هاشم الجبائي قال الشهرستاني (وعند أبي هاشم : هو عالم لذاته بمعنى أنـــه ذو حالـــة هي صفة معلومة وراء كونه ذاتا موجودا وإنما تعلم الصفة على الذات لا بانفرادهـــا فأثبـــت أحوالا هي صفات لا موجودة ولا معدومة ولا معلومة ولا مجهولة أي هي علـــى حيالهـــا لا تعرف كذلك بل مع الذات.

خمس عشر سنة فذكر مناظرته مع اليهودي بالبصرة وقال أبو العيناء توفي أبو الهذيل بسر من رأى سنة ست وعشرين ومائتين وأربع سنين كذا قال وقد ساق الخطيب بسنده الى بن مخلد احمد بن الحسين قال قدم أبو الهذيل بغداد سنة ثلاثين ومائتين مات أبو الهذيل أول خلافة المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وقال المسعودي قال أبو الحسن الحناط مات أبو الهذيل سنة سبع وعشرين وتنازع اصحابه في مولده فقال قوم سنة إحدى وثلاثين وقال قوم سنة أربع)

[14] ألأشعري علي بن إسماعيل أبو الحسن : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج ١ ص ١٦٥

[15] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ص ٧٧

[16] القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمذاني : شرح الأصول الخمسة ص ١٢٩/١٢٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقيل أنهم أطلقوا على أنفسهم المعتزلة لأنهم آثروا الاعتزال في وقت الفتنة بين أهل السنة والخوارج

ويرتكز مذهب المعتزلة بالأساس حول الأصول الخمسة وهي: التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويعتمدون على إثبات المسائل بالأدلة العقلية بالدرجة الأولى فهم يقدمون الدليل العقلي على الدليل النصي إذ يزعمون أن الدليل العقلي أقوى حجة وبرهانا من الدليل النقلي. وقد قال القاضي عبد الجبار:" فاعلم أن الدلالة أربعة: حجة العقل ، والكتاب ،والسنة ، والإجماع ن ومعرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل" [١٧]

ويعتقد المعتزلة أن صفات ذات الله استحقها الله لذاته ولنفسه ، وأن الموصوف بصفة من صفات النفس لا يجوز خروجه عنها بأي حال من الأحوال. وأثبتوا لله تعالى صفات ذات محددة وهي: أنه قادر ، وعالم ، وحي ، وكونه سميع بصير مدرك للمدركات.

أولا: كونه قادرا:

جعلت المعتزلة أول صفة من صفات الله عزوجل أنه قادر ولا أريد أن أقول القدرة فأخالف مذهبهم في النقل عنهم.

قال القاضي عبد الجبار رحمه الله : "اعلم أن أول ما يعرف استدلالا من صفات القديم جل وعز أنما هو كونه قادرا ، وما عداه من الصفات يترتب عليه" ويعلل ذلك في قوله أيضا :" لأن الدلالة التي دلت على أنه تعالى هو المحدث للعالم، دلت على هذه الصفة التي هو كونه قادرا من غير واسطة" [١٨]

فهم يرون أنه بالنظر إلى هذا الكون العظيم الذي أبدعه الله عز وجل حين خلقة بدقة متناهية وفي كل خلق أودع أسرار عظمته وهذا لا يتأتى إلا بأن يكون من خلق هذا العالم والكون كونه قادرا لذاته والمعتزلة تثبت عقلا أن الفعل وهو الخلق قد صح عن الله تعالى وصحة

[17] **شرح الأصول الخمسة ٨٨.**
[18] **شرح الأصول الخمسة ١٥١.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفعل دلت على كونه قادرا وقد قال القاضي عبد الجبار:" إن صفة الذات متى صحت وجبت" [١٩] فهم يرون أن الله عز وجل متصف بأنه قادر صفة لذاته وجوبا.

وقد قال أبي رشيد النيسابوري رحمه الله :" والدليل على أن الله تعالى قادر هو أن يصح منه الفعل ، وصحة الفعل يدل على كون فاعله قادرا، وهذه الدلالة مبنية على أصلين: أحدهما أن الله تعالى قد صح منه الفعل ، والثاني أن صحة الفعل يدل على كون فاعله قادرا" [٢٠]

ومعنى قولهم صح منه الفعل أي أن الفعل الصحيح لا يصدر إلا من الصحيح السليم وإلا لكان مريضا ضعيفا يتعذر صدور الفعل الصحيح عنه.

وخلاصة القول ما قاله القاضي عبد الجبار:" والأصل في ذلك أن تعلم أنه تعالى كان قادرا فيما لم يزل، ويكون قادرا فيما لا يزال ولا يجوز خروجه عنها لضعف أو عجز وأنه قادر على جميع أجناس المقدورات " [٢١]

ثانيا: كونه عالما :

ودلالتها عندهم أن الله تعالى صح منه الفعل المحكم ، لأنه إن لم يكن عالما فإنه لم يكن ليصح عنه الفعل المحكم، فثبوت الخلق المحكم دال على علمه سبحانه وتعالى، ويثبتون كذلك بأن الله عالم فيما لم يزل ، وهو لا يزال عالما ، وأنه موصوف بهذ الصفة لذاته وأنه لا يجوز خروجه عن هذه الصفة بأي حال من الأحوال .

ولقد عرف النيسابوري الفعل المحكم بقوله:" هو ما يترتب في الحدوث ترتيبا مخصوصا على وجه لا يتأتى ذلك من كل واحد من القادرين"

ثم ذكر مثالا بمن يؤذن كل يوم للصلاة بمواقيتها فهو لم يقم بهذا العمل المستمر إلا لعلمه بمواقيتها على وجه الخصوص

وقد قال الخياط المعتزلي في كتابه الانتصار:" إن الله جل ثناؤه كان ولا شيء معه، وأنه لم يزل يعلم أنه سيخلق الأجسام وأنها ستتحرك بعد خلقه إياها وتسكن، وأنه لم يزل يعلم أنها

---

[19] **شرح الأصول الخمسة ١٦٠**
[20] **في التوحيد للنيسابوري ٦١**
[21] **شرح الأصول الخمسة ١٥٥**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

متحركة إذا حلتها الحركة ، وأنها ساكنة إذا حلها السكون ، فهو جل ذكره لنفسه لم يزل يعلم أن الجسم قبل حلول الحركة فيه سيتحرك ، وأنه في حال حلول الحركة فيه متحرك" [٢٢]

ومن أدق ما قرأت للخياط في هذا الباب قوله :" أن الله لم يزل يعلم أنه سيخلق الأجسام وأنها ستتحرك بعد خلقه إياها ، فإذا خلقها وأوجدها ثم تحركت قلنا عند حلول الحركة فيها : أن الله جل ذكره لنفسه يعلم أنها قد تحركت لا لحدوث علم فيه جل ثناؤه ولكن لحدوث الحركة في الجسم"[٢٣]

وهو يريد هنا أن يثبت أن الله عالم لم يزل وأنه لا يزال عالما، وعلمه بالمحدثات لا يجعله حدثا مطلقا إذ الحدوث داخل في المحدث لا في العلم ، وهذا تفسير قولهم أنه عالم لذاته فهو عالم قبل وجود ما يعلم لأننا لو قلنا غير ذلك لكانت صفة نقص وتعالى الله أن يكون به نقص أو عيب لذا فالمعتزلة ترى أن الله عالما لذاته هو لا لصفة هي العلم

وخلاصة القول ما قاله النيسابوري: "وجملة القول ..... أن المكلف يلزمه أن يعرف ان الله تعالى عالم ، كان عالما فيما لم يزل ، وأنه عالم فيما لا يزال وأنه عالم بما لا يتناهى من المعلومات"

ثالثا: كونه حيا:

قال القاضي عبد الجبار :" وتحرير الدلالة على ذلك هو ما قد ثبت أن الله تعالى عالم قادر، والعالم القادر لا يكون إلا حيا ، ثم يقول: وجملة القول في ذلك أنه يجب أن يعلم أنه تعالى كان حيا فيما لم يزل ، ويكون حيا فيما لا يزال ، ولا يجوز خروجه عنها بحال من الأحوال، لا يموت ولا بما يجري مجرى ذلك" [٢٤]

فالحياة عند المعتزلة في ذات الله عز وجل قديمة أزلية، فلا يجوز ولا يعقل أن يكون بلا حياة فهو حي وجوبا، ودليلهم كذلك عقلي : بما أنه قادر وعالم إذا لابد أن يكون حيا إذ لا يمكن توفر القدرة مع العلم في غير الحي.

---

[22] **الانتصار للخياط المعتزلي ٨٣**
[23] **المرجع السابق ٨٣**
[24] **شرح الأصول للقاضي عبد الجبار ١٦٦**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد برهن النيسابوري على ما ذكر القاضي فقال: " فإن قيل: ولم قلتم أن العالم القادر لا يكون إلا حيا؟ قيل له لأنا وجدنا في الشاهد جملتين: أحداهما صح أن يعلم ويقدر كالواحد منا ،والاخر استحال أن يعلم ويقدر كالجماد ، فمن صح ان يعلم ويقدر وجب أن يكون مفارقا لمن لا يصح ان يعلم ويقدر"

رابعا: كونه تعالى سميعا بصيرا مدركا للمدركات:

يفرق المعتزلة بين كونه سميعا بصيرا وبين كونه سامع مبصر ، لأن السميع في نظرهم هو الذي يسمع المسموع إذا وجد والبصير هو الذي يبصر المبصر إذا وجد ، والسامع عندهم هو الذي يسمع المسموع الان والمبصر هو الذي يبصر المبصر الان وقد كان الله قديما في الأزل ولا شيء معه فلا يصح عندهم أن نقول أنه مبصر بل هو البصير ولا سامع بل هو السميع.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أقسام الصفات عند المعتزلة:

ولقد وجدت تقسيما للصفات عند المعتزلة ذكرها الشيخ عبد الرحمن بدوي في كتابه مذاهب الإسلاميين إذ قسمها على النحو التالي:

(أقسام الصفات عند المعتزلة:

- ما تستحق الذات من الصفات كونه قادرا عالما حيا سميعا بصيرا مدركا للمدركات موجودا مريدا.
- ما يجب له في كل حال فهي تلك الصفات الذاتية الأربع كونه قادرا عالما حيا موجودا
- ما يستحيل عليه في كل وقت فهو ما يضاد هذه الصفات نحو عاجزا وجاهلا ومعدوما - تعالى الله عما يستعملون من ألفاظ لا تليق بالذات الإلهية -
- ما يستحقه من وقت دون وقت: فنحو كونه مدركا فاشترطوا وجود المدرك ونحو كونه مريدا وكارها) [٢٥]

[25] **مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ٥٨**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الخامس صفات الله عين الذات عند المعتزلة:

خاضت المعتزلة بداية صراعات فكرية كلامية في الإلهيات مع الفلاسفة ومع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، هذه المساجلات الكلامية صاغت في نهاية الأمر فكر ومعتقد المعتزلة، فالله عند المعتزلة " ليس كمثله شيء "

فاليهودية مثلا تقول أن الله خلق آدم على صورته ويرجعون الضمير في كلمة صورته إلى لفظ الجلالة أي أن الله خلق آدم على مثل صورته هو، لذا قالت المعتزلة أن الله ليس بجسم ولا شبح ولا صورة، وكذلك قالت اليهود أن الله ندم على إغراق قوم نوح بالطوفان فبكى فقالت المعتزلة بنفي الآفات والعاهات عن ذات الله عزوجل ، وكذلك قالت اليهودية أن الله استراح في اليوم السابع من بدء خلقه للخلق فأثبت المعتزلة أن الله قادر لذاته

والمسيحية تقول بأن الله يتقوم بأقانيم أي صفات مستقله عن ذاته وهي الوجود والعلم والحياة ، وأن هذه الأقانيم تحل في ذاته الواحده، فالوجود هو الأب والعلم هو الابن والحياة هي الروح القدس، فنفت المعتزلة الجوهر عن ذات الله واعتبروا الصفات هي الذات نفسها وليست شيئا مغايرا لها أو عنها، وقالوا بأن هذه الصفات إنما هي اعتبارات ذهنية وليست مستقلة بالحقيقة.

يقول الدكتور أحمد محمود صبحي:" لأنه لو كانت الصفة مستقلة بذاتها زائدة على الذات قائمة بنفسها لتعددت الصفات الأزلية ومن ثم تعددت الآلهة" ثم يقول :" إن حمل الصفات على أنها معان قائمة بالذات تجعل الله جوهرا تلحقه الأعراض وهذا ما ينكره المعتزلة بشدة" [٢٦]

الأدلة عند المعتزلة :

١- أن الصفات واجبة لله تعالى ، ومتى كانت الصافات واجبة كانت مستغنية بوجوبها عن العلة. وإذا كانت مستغنية عن العلة كانت الصفات مستغنية عن الذات ، وثبت التعدد. وكلاهما باطل فبطل ما أدى إليه وهو ثبوت صفات المعاني وثبت نقيضه وهو عدم ثبوتها.وينتج عنها ما يلي:

---

[26] **في علم الكلام ج١ / ١٢٤**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ : إثبات النصارى لصفات زائدة على الذات أدى الى كفرهم ، وهي صفة الوجود والعلم والحياة ، فكيف بمن يثبت لله تعالى سبع صفات .

ب : عالمية الله تعالى وقادريته واجبة لله تعالى ، فلا تحتاج ذاته إلى صفات أخرى أي إلى صفات المعاني حتى تعلل بالعلم والقدرة .

ج : صفته تعالى صفة كمال ، فلو قامت بذاته صفات زائدة لكان ناقصا مستكملا بهذه الصفات الزائدة . والتالي باطل فبطل ما أدى إليه وثبت نقيضه وهو عدم ثبوت صفات زائدة على ذاته . [٢٧]

ونجد الفلاسفة مشابه تماما لقول المعتزلة وخاصة ما أكده الإيجي من خلال كتابه المواقف الجزء الثالث يقول : وهو للفلاسفة ، لو كانت له صفة زائدة لكانت ممكنة ، لأن الصفة لا تقوم بنفسها ، فضلا عن الوجود. كيف: وقد ثبت أن الواجب واحد ، وما وقع في بعض كلام بعض العلماء من أن واجب الوجود لذاته هو الله تعالى وصفاته، فمعناها أنها واجبة لذات الواجب أي مستندة إلى الله تعالى بطريق الإيجاب لا بطريق الخلق بالقصد والاختيار ليلزم كونها حادثة ، وكون القدرة مثلاً مسبوقة بقدرة أخرى ، وما ثبت من كون الواجب مختاراً لا موجباً ، انما هو في غير صفاته ، وأما استناد الصفات عند من يثبتها فليس إلا بطريق الإيجاب . [٢٨]

ومن خلال ما سبق تبين لنا علاقة الذات بالصفات ما بين الأشاعرة وما بين المعتزلة والفلاسفة الذين يؤكدون أن صفاته تعالى عين ذاته بينما الأشاعرة يقولون أن صفاته زائدة على ذاته وجودية وقد عبر أحد الباحثين بأن قول أبو هاشم في الأحوال هي أغمض ما في عقائد المعتزلة ولكنه استرسل قائلا أنه يظن أنها مجلرد اعتبارات ذهنية فقط غير موجودة في الخارج .

---

[27] **الإيجي، المواقف، دار الجيل، ج٣، ص ٦٧-٦٨.**
[28] **الإيجي، المواقف، دار الجيل، ج٣، ص ٦٧-**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمة:

هذا عرض لآراء طائفة من كبار شيوخ المعتزلة والأشاعرة في مشكلة علاقة الذات بالصفات ، تبين من خلال البحث أن المعتزلة اتجهت إلى نفي الصفات ، فأثبتوا الذات الإلهية ذاتا قديمة بعيدة عن كل أنواع التركيب ، منزهة عن مشابهة المخلوق ، ونفوا عنها كل المفهومات الإنسانية ، التي يمكن أن تخلع عليها ،كما اعتبروا الصفات عين الذات ، ولهذا رماهم خصومهم بأنهم معطلة ، بمعنى أنهم يجردون الذات عن صفاتها . ولكن وجه الحق في المشكلة هو أن المعتزلة لم يجردوا الذات الإلهية عن صفاتها تماما ، بل هم أثبتوا أن الصفات عين الذات ، فلا وجود لصفات زائدة عليها .

و مصدر الخطأ في موقف المعتزلة من الصفات الإلهية كان نابعا من إدخال المعايير والمقاييس الإنسانية في الأمور الإلهية دون أدنى مفارقة أو تمييز" بين الخالق والمخلوق في المضمون والشكل معا" ، فلقد كانوا يتصورون مثلا أن العلم أو الإرادة وسائر الصفات هي في حق الله تعالى كما هي في حق الإنسان العالم القادر المريد . ومن هنا لم يمكنهم فهم العلاقة الحقيقية بين الذات الإلهية وصفاتها ، فنفوها نفيا تاما . بينما الأشاعرة فقد أثبتوا أن لله صفات وجودية لا هي عين ذاته " لأنها تفرض في الذهن أمور مجردة ولا هي غير ذاته لأن الصفة والذات كل منهما له معنا خاص به بل هي صفات زائدة على ذاته وجودية قائمة بذاته ولهذا سنجد الغزالي قد أثبت صفات الله تعالى وهو أدق للمنطق والعقل من نفي صفات الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر والمراجع

١ -القران الكريم.

٢ -صحيح البخاري ومسلم.

٣ -للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله مدارج السالكين ، .

٤ -علي بن سالم الآمدي، غاية المرام في علم الكلام،تحقيق حسن محمود،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ.

٥ - سيف الدين الآمدي، ابكار الأفكار، تحقيق احمد فريد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان،٢٠٠٢.

٦ -علي بن اسماعيل الاشعري، مقالات الإسلاميين، تحقبق هلموت ريتر ،الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي،بيروت ،لبنان.

٧ -محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ، لبنان.١٤٠٤هـ.

٨ -القاضي عبد الجبار الهمذاني، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، الطبعة الثالثة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦.

٩ - عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار العلم للملايين،بيروت، لبنان، ١٩٧١.

١٠ - عضد الدين الإيجي، المواقف، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٧.

١١ راجح الكردي،نظرية المعرفة بين القران والسنة، الطبعة الأولى، ، دار الفرقان ، ١٩٩٥.

١٢ -محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، دار الكتب العربية. الطبعة والنشر بدون.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرسة الموضوعات:

العنوان ١

المقدمة ٢

المبحث الأول: : الذات ومثبوتها من خلال الكتاب والسنة..... ٣

المبحث الثاني :أقسام الصفات على أساس علاقتها بالذات..... ٤

المبحث الثالث:الأدلة على علاقة الصفات بالذات:..... ٦

المبحث الرابع: علاقة الذات بالصفات عند المعتزلة..... ٩

المبحث الخامس صفات الله عين الذات عند المعتزلة:..... ١٥

الخاتمة..... ١٧

المصادر والمراجع..... ١٨

فهرسة الموضوعات..... ١٩.

والحمد لله رب العالمين

أحمد إسماعيل التل

٢٠١٠/٢٠٠٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com